١٢- إسلام حمزة وعمر رضى الله عنهما

إن أبا جهل مرَّ برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه [١]. فلم يكلِّمه رسول الله ﷺ. ومولاة[٢] لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك. ثم انصرف[٣] عنه فعمد[٤] إلى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم. فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحًا[٥] قوسه، راجعًا من قنصٍ[٦] له. وكان أعز فتى فى قريش. فلما مرَّ بالمولاة قالت له: يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفًا من أبى الحكم بن هشام وجده ها هنا جالسًا فآذاه وسبَّه وبلغ منه ما يكره.

فاحتمل حمزة الغضب، فخرج يسعى ولم يقف على أحد مُعِدًا لأبى جهل إذا لقيه أن يوقع[٧] به. فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا فى القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه[٨] رفع القوس

---

(١) شتمه: سبَّه.

(٢) مولاة: عبدة.

(٣) انصرف عنه: تركه.

(٤) فعمد: قصد.

(٥) متوشحًا: حاملاً.

(٦) قنص: صيد.

(٧) أن يوقع به: أن يضربه.

(٨) قام على رأسه: وقف عند رأسه.

فضربه بها فشجّه[1] شجّة منكرة ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول. فردُّ ذلك عليَّ إن استطعت. فقام رجال من بني مخزوم[2] إلى حمزة لينصروا أبا جهل. فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًا قبيحًا، وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه. فلما أسلم عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع. فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون[3] منه. وخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطًا من أصحابه قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين، ومع رسول الله ﷺ عمه حمزة وغيره. فلقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمدًا هذا الصابئ[4] الذي فرَّق أمر قريش وسب آلهتها فاقتله. قال له نعيم: أترى بني عبد مناف[5] تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا. أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم[6] أمرهم؟ قال: وأي أهل بيتي؟ قال: ابن عمك وختنك[7] سعيد بن

---

(١) شجه: جرحه وشقَّ رأسه.

(٢) بنو مخزوم: قبيلة عمرو بن هشام.

(٣) ينالون منه: يؤذونه.

(٤) الصابئ: الخارج من دينه.

(٥) عبد مناف: قوم رسول الله ﷺ.

(٦) تقيم: تصحح.

(٧) ختنك: صهرك وزوج أختك.

زيد وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه. فعليك بهما، فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه، وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة (طه) يقرئهما إياها، فلما سمعوا حس عمر، تغيّب خباب فى مخدع[1] لهم. وأخذت فاطمة الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا[2] إلى البيت قراءة خباب عليهما. فلما دخل قال: ما هذه الهينمة[3] التى سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئًا. قال: بلى والله لقد أخبرت أنكما أسلمتما وتابعتما محمداً على دينه. وبطش بختنه سعيد. فقامت إليه أخته فاطمة لتكفه عن زوجها، فضربها فشجَّها. فلما فعل ذلك قال له: نعم لقد أسلمنا وتابعنا محمداً على دينه فاصنع ما بدا لك. فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وقال لأخته: أعطينى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفًا أنظر ما الذى جاء به محمد. وكان عمر كاتبًا. لما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال: لا تخافى، وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه. فقالت له: يا أخى إنك نجس على شركك، وإنه لا يمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها (طه) فقرأها، فلما قرأ منها سطراً قال: ما

---

(١) المخدع: البيت الصغير داخل البيت الكبير.

(٢) دنا: اقترب.

(٣) الهينمة: صوت كلام لا يفهم.

أحسن هذا الكلام وأكرمه. فلما سمع ذلك خباب خرج إليه فقال: يا عمر! والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام، أو بعمر بن الخطاب، فالله الله يا عمر! فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأُسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه. فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب. فلما سمعوا صوته، قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل[1] الباب فرآه متوشحًا السيف. فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع. فقال: يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف فقال حمزة بن عبد المطلب. فأذنْ له، فإن كان يريد خيراً بذلناه[2] له، وإن كان جاء يريد شراً قتلناه بسيفه. ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة. فأخذ حجزته[3] ثم جبذه[4] جبذة شديدة وقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب، فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة[5] فقال عمر: يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله، وبما

---

(١) من خلل الباب: من ثقوب الباب.

(٢) بذلناه له: أعطيناه.

(٣) أخذ حجزته: الحجزة موضع شد الإزار.

(٤) جبذه: شدّه وجذبه.

(٥) القارعة: المصيبة الكبيرة.

جاء من عند الله. قال: فكبّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم وقد عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان[١] رسول الله ﷺ وينتصفون[٢] بهما من عدوهم[٣].

١٣- رسول الله ﷺ ورؤساء قريش

ثم إن الإسلام جعل يفشو[٤] بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن[٥] من استطاعت فتنته من المسلمين، ثم إن أشراف قريش من كل قبيلة اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه.. فبعثوا إليه: إن أشراف قومك قد اجتمعوا إليك ليكلموك فأتهم. فجاءهم رسول الله ﷺ سريعًا.. وكان عليهم حريصًا بحب رشدهم[٦] حتى جلس إليهم فقالوا له: قد بُعثنا إليك لنكلمك وإنا والله لا نعلم

(١) يمنعان: يحميان.

(٢) ينتصفون: يأخذون حقهم.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٤٢ - ٣٤٦، اختيارات.

(٤) يفشوا: ينتشر.

(٥) تفتن: تجعله يترك دينه بالقوة.

(٦) رشدهم: إسلامهم.

رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك. لقد شتمت الآلهة، وعبت الدين، وسفَّهت[1] الأحلام، وفرَّقت الجماعة. فما بقى من أمر قبيح إلا قد جئته فيما بيننا وبينك.

فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا. فنحن نسودك[2] علينا. وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا، وإن كان هذ الذى يأتيك رئيًا[3] تراه قد قلب عليك بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك[4] منه فقال لهم رسول الله ﷺ:

ما بى ما تقولون؛ ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا، وأنزل علىَّ كتابًا، وأمرنى أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا. فبلغتكم رسالات ربى، ونصحت لكم فإن تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والآخرة وإن تردوه علىَّ أصبر لامر الله حتى يحكم بينى وبينكم.

قالوا: يا محمد! فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك. فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أضيق بلدًا، ولا أقل ماءً، ولا

---

(١) سفَّهت الأحلام: اعتبرت عقلاءنا سفهاء.

(٢) نسوِّدك: نجعلك سيداً لنا.

(٣) رئيًا: شيطان الجن.

(٤) نبرئك: نداويك حتى تصح.

أشد عيشًا منا. فسل لنا ربك الذى بعثك بما بعثك به: فليسيِّر[1] عنا هذه الجبال التى قد ضيَّقت علينا، وليبسط لنا بلادنا، وليفجِّر لنا أنهاراً كأنهار الشام والعراق، وليبعث[2] لنا من مضى من آبائنا، ولكن فيمن يبعث لنا منهم قصى بن كلاب، فإنه كان شيخ صدق. فنسألهم عما نقول أحق هو أم باطل؟! فإن صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولاً. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما بهذا بُعثت إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثنى به، وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم فى الدنيا والآخرة، وإن تردوه علىّ أصبر لأمر الله حتى يحكم بين وبينكم.

قالوا: إذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك، سل ربك أن يبعث معك مَلَكًا يصدِّقك بما تقول، ويراجعنا عنك. وسله فليجعل لك جنانًا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة.. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما أنا بفاعل، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا. وما بهذا بعثت إليكم.. قالوا: فأسقط السماء علينا كسفًا كما زعمتَ إنَّ ربك إنْ شاء فعل. فإنّا لا نؤمن لك إلا أن تفعل. قال: ذلك إلى الله إن شاء أن يفعله بكم فعل.

---

(١) يسيِّر: يزيل.

(٢) يبعث: يحيى.

قالوا: يا محمد: أفما علم ربك أنا سنجلس معك. ونسألك عما سألناك عنه، فيعلمك ما تراجعنا به.. إنه قد بلغنا أنك إنما يعلمك هذا رجل باليمامة اسمه الرحمن. وإنا والله لن نؤمن بالرحمن أبداً. وإنا والله لن نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا.

وقال قائلهم: نحن نعيد الملائكة وهي بنات الله. وقال قائلهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً.

فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وهو ابن عمته فقال له:

يا محمد! عرض عليك قومك ما عرضوا، فلم تقبله منهم. ثم سألوك لأنفسهم أموراً ليعرفوا بها منزلتك عند الله كما تقول فلم تفعل.. فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلمًا ثم ترقى[1] فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها. ثم تأتي معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وأيم[2] الله لو فعلت هذا ما ظننت أني أصدقك.

ثم انصرف عن رسول الله ﷺ، وانصرف رسول الله إلى أهله

---

(١) ترقى: تصعد.

(٢) وأيم الله: أقسم بالله.

حزيناً آسفاً لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، ولما رأى من مباعدتهم إياه[1].

١٤- أبوجهل وخِزية

فلما قام رسول الله ﷺ قال أبوجهل: يامعشر قريش! إن محمداً قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق[2] حمله. فإذا سجد في صلاته فضخت[3] به رأسه. فأسلمونى بعد ذلك أو امنعونى. فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم. فقالا: والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد.

فلما أصبح أبوجهل أخذ حجراً كما وصف، ثم جلس لرسول الله ﷺ ينتظره وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو. فقام رسول الله ﷺ يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبوجهل فاعل، حتى إذا دنا[4] منه رجع منهزمًا منتقعًا[5] لونه مرعوبًا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام بتصرف ١ / ٢٩٤ - ٢٩٨.

(٢) ما أطيق حمله: ما أستطيع حمله من ثقله.

(٣) فضخت به رأسه: شققت رأسه.

(٤) دنا: اقترب.

(٥) منتقعًا لونه: مصفرًا لونه.

وقامت إليه رجال من قريش فقالوا له: ما لك يا أبا الحكم؟ قال: قمت لأفعل به ما قلت لكم البارحة لما دنوت منه عرض[1] لى دونه فحل من الإبل[2]، لا والله ما رأيت مثل هامته[3] ولا مثل قصرته[4] ولا أنيابه لفحل قط. فهم بى أن يأكلنى. فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه»[5].

وكان أبوجهل الفاسق إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف أنَّبه[6] وأخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك[7] ولنضعن[8] شرفك. وإن كان تاجراً قال: والله لنكسدن[9] تجارتك ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفًا ضربه

---

(١) عرض لى دونه: منعنى من الاقتراب منه.

(٢) فحل من الإبل: جمل كبير ضخم.

(٣) هامته: جسم.

(٤) قصرته: عنقه.

(٥) السيرة النبوية لا بن هشام ١/٩٨.

(٦) أنبه: تكلم معه كلامًا قاسيًا مؤذيًا.

(٧) لنسفهن حلمك: لنتهمك بالسفاهة فى عقلك.

(٨) لنضعن شرفك: لنسيئن سمعتك.

(٩) لنكسدن تجارتك: نجعلها كاسدة خاسرة.

وأغرى[١] به[٢].

١٥- عدوان المشركين على المستضعفين المسلمين

ثم إنهم عدوا[٣] على من أسلم، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش، برمضاء[٤] مكة إذا اشتد الحر من استضعفوا منهم، يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتن[٥] من شدة البلاء الذى يصيبه، ومنهم من يصلب[٦] لهم.

وكان بلال صادق الإسلام طاهر القلب، وكان أمية بن خلف (سيده من بنى جمح) يخرجه إذا حمت الظهيرة، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة. فتوضع على صدره ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد. فيقول وهو فى ذلك البلاء: أحد، أحد.. حتى مرّ به أبوبكر الصديق رضى الله عنه. فقال لأمية: ألا تتقى الله فى هذا

---

(١) أغرى به: أمر غيره بضربه.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٢٠.

(٣) عدوا: هجموا.

(٤) رمضاء: صحراء مكة ورملها.

(٥) يُفتن: يُترك.

(٦) يصلب: يُصبَّر ويبقى على دينه.

المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته[١] فانقذه مما ترى. فقال أبوبكر: عندى غلام أسود أقوى منه على دينك أعطيك. قال: قد قبلت. فأعطاه أبوبكر رضى الله عنه غلامه، وأخذه فاعتقه[٢].

ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب بلال سابعهم، عامر بن فهيرة، والنهدية وابنتها، وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار، فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول: والله لاأعتقكما أبداً. فقال أبوبكر رضى الله عنه: حلٌ[٣] يا أم فلان. فقالت: حل أنت أفسدتهما فاعتقهما. قال: فيكم هما؟ قالت: بكذا وكذا. قال: قد أخذتهما وهما حرتان. أرجعا إليها طحينها.. ومر بجارية بنى مؤمل حى من بنى عدى بن كعب، وكانت مسلمة، وعمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذ مشرك وهو يضربها حتى إذا مل قال: إنى أعتذر إليك. أنى لم أتركك إلا ملالة، فتقول: كذلك فعل الله بك. فابتاعها[٤] أبوبكر فاعتقها[٥].

وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه. وكانوا

---

(١) أفسدته: هديته للإسلام.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣١٨.

(٣) حلٌ: لا تقسمى.

(٤) ابتاعها: اشتراها.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ١/٣١٧ - ٣١٨.

أهل بيت[١] إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة.، فيمر بهم رسول الله ﷺ فيقول: فيما بلغني: صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة. فأما أمه فقتلوها، وهى تأبى إلا الإسلام[٢].

عن مجاهد قال: أول من أظهر الإسلام أبوبكر وبلال وخباب وصهيب وعمار. فأما رسول الله ﷺ وأبوبكر فقد منعهما الله بقومهما. وأما الآخرون فألبسوا دروع الحديد وصهروا فى الشمس[٣].

١٦- الهجرة إلى الحبشة

عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار النجاشى (ملك الحبشة) أمِنَّا على ديننا، وعبدنا الله تعالى لا نؤذى، ولا نسمع شيء نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشًا، ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشى فينا رجلين منهم جلدين[٤]. وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستظرف[٥] من متاع مكة. وكان من أعجب ما يأتيه الأَدَم[٦]. فجمعوا له أَدَمًا كثيراً،

---

(١) أهل بيت إسلام: أسلموا جميعًا.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٢٠.
(٣) سبل الهدى والرشاد، ٢ / ٤٨١.
(٤) جلدين: قويين.
(٥) يستظرف: من كل جميل وظريف.
(٦) الأَدَم: الجلود.

ولم يتركوا من بطارقته[1] بطريقًا إلا أهدوا له هدية. ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة، وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم.. فخرجا حتى قدما على النجاشى. فلم يبق من بطارقته بطريقًا إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى... ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له:

أيها الملك إنه قد ضوى[2] إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه[3] لا نعرفه نحن ولا أنت. وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم.

فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه فقالت بطارقته صدقًا أيها الملك فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشى ثم قال لاها[4] الله، إذن لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى، واختاروني على من سواى حتى أدعهم فأسألهم عما يقول هؤلاء فيأمرهم.

فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن

---

(١) بطارقته: وزراؤه وقواده.

(٢) ضوى: لجأ.

(٣) ابتدعوه: جاؤوا به من عندهم.

(٤) لاها الله: لا والله.

كانوا غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهما ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلما جاؤوا دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذى فارقتم به قومكم، ولم تدخلوا به فى دينى؟ قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له:

أيها الملك: كنا قومًا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده. ونخلع(١) ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث، وآداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم(٢) والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصوم، فصدَّقنا به وآمنا به واتبعناه.. فعدا علينا قومنا فعذبوننا، وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من دون الله. فلما قهرونا وظلمونا خرجنا إلى بلادك، ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك. فقال له النجاشى: هل معك مما جاءك عن الله شىء؟ فقال له جعفر: نعم. قال له النجاشى: فاقرأه على. فقرأ عليه صدرًا من (سورة

(١) نخلع: نترك.

(٢) الكف عن المحارم: الامتناع عنها.

مريم) فبكى والله النجاشى حتى اخضلت[1] لحيته، وبكت أساقفته[2] حين سمعوا ما تُلى عليهم ثم قال لهم النجاشى: إن هذا الذى جاء به عيسى عن مشكاة[3] واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكما (لعمرو وعبد الله).. ثم غدا عليه من الغد (عمرو) فقال له: أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولاً عظيمًا فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنهم قالت: ولم ينزل[4] بنا مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول فيه ما قال الله وما جاءنا به نبينا. فلما دخلوا عليه. قال: ما تقولون فى عيسى بن مريم؟ قالت: فقال جعفر: نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ. يقول:

هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[5]. قالت: فضرب النجاشى يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا ثم قال: والله ما عدا[6] عيسى بن مريم ما قلت هذا العود.

---

(١) اخضلت لحيته: ابتلت.

(٢) أساقفته: الرهبان من النصارى ورجال دينه.

(٣) من مشكاة واحدة: من مصدر واحد، ونور إلهى واحد.

(٤) لم ينزل بنا مثلها: من المصيبة والهم.

(٥) البتول: الطاهرة.

(٦) ما عدا: مازاد.

قالت: فتنافرت[1] بطارقته حوله حين قال ما قال. قال: وإن نخرتم والله.

اذهبوا فأنتم شيوم[2] بأرضي. ثم قال: من سبكم غرم[3] ما أحب أن لي دبراً[4] من ذهب، وأني آذيت رجلاً منكم.

ردوا عليهما هداياهما، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي.

قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار عند خير جار[5].

١٧- خبر الصحيفة

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم. فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع

---

(١) تنافرت: عبت عن بغضها لكلام النجاشي.

(٢) شيوم: آمنون. (٣) غرم: خسر.

(٤) دبراً: جبلاً.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام بتصرف ١ / ٣٣٤ - ٣٣٨. وقد راها بسند صحيح عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أم سلمة.

رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو فى القبائل اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم. فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة.، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عبد الدار بن قصى. فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب بن عبد المطلب. فدخلوا معه فى شعبه، واجتمعوا إليه. وخرج من بنى هاشم أبولهب عبد العزى بن عبد المطلب إلى قريش فظاهرهم... ورسول الله ﷺ يدعو قومه ليلاً ونهارًا، وسرًا وجهارًا، مباديًا بأمر الله، لا يتقى فيه أحد من الناس(١).

(فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف، ورجال من بنى قصى، ورجال ممن سواهم وذكروا الذى وقعوا فيه من القطيعة، فأجمعوا أمرهم فى ليلتهم على نقض ما تعاقدوا عليه والبراءة منه. فبعث الله عز وجل على صحيفتهم التى فيها المكر برسول الله ﷺ الأرضة(٢) فلحست كل شىء كان فيها. وما بقى

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥٠.

(٢) الأرضة: دابة تأكل الخشب وتسمى النمل الأبيض ولا تزال موجودة فى مكة.

فيها ما كان من شرك أو ظلم أو بغى. فاطلع الله تعالى رسوله على الذى صنع بالصحيفة، فذكر ذلك لعمه أبى طالب. فقال له عمه: والثواقب[1] ما كذبتنى قط. فانطلق فى عصابة من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد وهو حافل من قريش[2]. فلما رأوهم أتوا جماعة أنكروا ذلك. فظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء، وأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ: فتكلم أبوطالب فقال: قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم. فأتوا بصحيفتكم التى فيها مواثيقكم. فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح. وإنما قال ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها. فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم[3]. فوضعوها بينهم وقالوا: قد آن لكم أن تقبلوا أو ترجعوا إلى أمر يجمع عامتكم ويجمع قومكم، ولا يقطع بيننا وبينكم إلا رجل واحد جعلتموه خطراً لعشيرتكم وفسادكم[4].

قال أبوطالب: إنما أتيتكم لأعطيكم أمراً فيه نصف بينى وبينكم. هذه الصحيفة التى فى أيديكم إن ابن أخى قد أخبرنى،

---

(١) الثواقب: النجوم. (٢) حافل من قريش: ممتلئ بهم.

(٣) مدفوع إليهم: مسلم إليهم.

(٤) خطراً لعشيرتكم وفسادكم: هدفًا لفساد عشيرتكم.

ولم يكذبنى أن الله عز وجل بعث عليها دابة فلم تترك فيها اسمًا إلا لحسته وترك فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم. فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا فوالله لا نسلمه حتى نموت عن آخرنا. وإن كان الذى يقول باطلاً، دفعنا إليكم صاحبنا، فقتلتم أو استحييتم[1].

قالوا: لقد رضينا بالذى تقول، وفتحت الصحيفة، فوجدوا الصادق المصدوق قد أخبر خبرها قبل أن تفتح. فلما رأتها قريش كالذى قال أبوطالب. قالوا:

والله ما كان هذا الإسحرًا من صاحبكم. فارتكسوا[2] وعادوا إلى شر ما كانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ وأصحابه ورهطه، والقيام على ما تعاقدوا عليه فقال أولئك النفر من بنى عبد المطلب:

إن الأولى بالكذب والسحر غيرنا. فكيف ترون. فإنا نعلم أن الذى أجمعتم عليه من قطيعتنا أقرب للجبت والسحر، ولولا الذى أجمعتم فيها من السحر لم تفسد الصحيفة وهى فى أيديكم. فما كان لله عز وجل من اسم هو فيها طمسه، وما كان من بغى تركه فى

---

(١) استحييتم: أى تركتموه دون قتل فأحييتموه.

(٢) ارتكسوا: انتكسوا وتراجعوا.

صحيفتكم. أفنحن السحرة أم أنتم؟ فندم المشركون من قريش عند ذلك.

وقال رجال منهم أبوالبختري - وهو العاص بن هشام.. بن قصى - وهشام بن عمر أخو بنى عامر بن لؤى، وكانت الصحيفة عنده، وزهير بن أمية، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب.. فى رجال من قريش ولدتهم نساء من بنى هاشم كانوا قد ندموا على الذى صنعوا فقالوا نحن براء من هذه الصحيفة. قال أبوجهل: هذا أمر قضى بليل(١).

قال ابن إسحاق: فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبوطالب فيما كان من أولئك النفر الذين قاموا فى نقضها يمدحهم..

الأهل أتى بحرينا(٢) صنع ربنا

على نأيهم والله بالناس أرود(٣)

---

(١) مغازى رسول الله ﷺ لعروة بن الزبير، ت: د. مصطفى الأعظمى، ١١٥، ١١٦.

(٢) بحرينا: من كان هاجر من المسلمين بالبحر إلى الحبشة.

(٣) الله أرود: الله أرفق.

فيخبرهم أن الصحيفة مزقت

وأن كل ما لم يرضه الله مُفْسَدُ

جزى الله رهطًا بالحجون تبايعوا

مقاولةٍ(١) بل هم أعز وأمجد

قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا

على مهلٍ وسائر الناس رُقَّدُ

هم رجَّعوا سهل بن بيضاء راضيًا

وسُرَّ أبوبكر بها ومحمد

وكنا قديمًا لا نقر ظلامة

وندرك ما شئنا ولا نتشدد

ونطعم حتى يترك الناس فضلهم

إذا جعلت أيدى المفيضين(٢) ترعد(٣)(٤)

---

(١) المقاولة: الملوك.

(٢) المفيضون: الضاربون بقداح الميسر، وكان لا يفيض معهم فى الميسر إلا سخب.

(٣) ترعد: تخاف.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ١/٣٧٨ - ٣٧٩ بتصرف